أبو الأعلى المودودي -4-

الأخ زهير الشاويش

المودودي ونشوء باكستان

دخل الإسلام القارة الهندية في القرن الأول الهجري ، وأبرز الفاتحين كان الشاب محمد القاسم الثقفي -ابن أخي الحجاج فاتح السند ثم انتشر الإسلام في باقي المناطق على أيدي التجار وغيرهم .. وهم بطبيعة الحال أفراد ليسوا مؤهلين لنشر العلم ، فإن كان عند بعضهم شيء من العلم فليس عنده الوقت الكافي لتعليم الناس أمور دينهم .. وهكذا انتشر الدين ومعه الجهل به وبأحكامه . وإليك بعض ما علل به المودودي توقف انتشار الإسلام في الهند ، مما جعل المسلمين أقلية تطالب بالانفصال بعد ذلك ، فقال في (واجب الشباب المسلم) إنّ كثيراً من العادات الجاهلية ، لا تزال متفشية إلى يومنا هذا ، بل لم تتغير الأفكار والمعتقدات تغيراً تاماً ، بل إن كثيراً من عقائد المشركين وأوهامهم لا تزال توجد .. وإن تعجب فعجب حال الصوفية ، فلا تجد بينهم من عمل بالإسلام الحقيقي وعلمه إلاّ عدداً يسيراً ، وأما معظمهم فكانوا يدعون الناس إلى تصوف مزاجه الفلسفات الشرقية ، والحانوية والرواقبة التي اختلطت في التصوف اختلاطاً حتى لم تبقى له علاقة مع عقائد الإسلام وأعماله الخالصة إلاّ قليلاً .. إلخ

وذكر من ضعف المسلمين خلال القرون الشيء الكثير .. وما ذكره المودودي ليس ببعيد عما عندنا ، وكلنـــا في الهم شرق .

كما ذكر معللاً توقف انتشار الإسلام ، عند الحالة الفكرية والعلمية قال : إنّ باب التحقيق والاجتهاد العلمـــي كان موصداً عندنا إلى حدٍّ عظيم منذ قرون . فلا ندرس ولا ندرس إلاّ ما تركه لنا أوائلنا ، والفكرة التي سادت : إنّ كل شيء قد تم على يد أسلافنا ، هو آخر لبنة في بناء العلم والتحقيق ، ولا يمكن أن يضاف إليه شيء بعدها أبدا !!

وبذلك طرأ علينا جمود فكري ، وغشي أجواءنا العقلية سحابة سوداء من العقم والتبلد .

كما عدد أموراً أخرى وخرج من كل ذلك إلى نتيجة حتمية هي :

أن نتخلى عن قيادة الهند ، بعد أن كنا فيها أمة الفكر والعلم والدين والحضارة .. قروناً طويلة .. فلمـــا دخـــل المستعمر الإنجليزي والفرنسي والهولندي بلاد شرقي آسيا عملوا على فصل باقي السكان عن الـــصلة بالمـــسلمين ،

وذرعوا فيهم الحضارة الغربية .. وحاول مدة مائتي سنة ونيف نشر دينه وثقافته فيهم لتكون بدلاً للإسلام .. وعندما عجز عن ذلك نمى فيهم العصبية لأديانهم الوثنية وعادتهم الوطنية .. مما وسع الشقة بين سكان تلك البلاد .

وقضى المستعمر على السيادة الإسلاميّة الفكرية –مع ضعفها– بعد أن قضى على السيادة العسكرية

وعندما نادى البعض بإنشاء باكستان –أرض الطهر– انقسم المسلمون إلى فريقين الأول مع وحدة الهند ورفـــض التقسيم أو عدم تحبيذه أو السكوت عنه ومن هذا الفريق كان أبو الكلام آزاد حامل الراية .. وكان المودودي في هذا الفريق أحد المعتدلين .

وعذْر هذا الفريق : أن المطالبين بدولة باكستان غير مؤهلين لإقامة حكم إسلامي .. بل أن الـــداعي لهـــم هـــو العصبية الدينية ، والمذابح التي كان يتعرض لها الناس بتأثير التفرقة الطائفية التي خطط لها الأعداء عند مختلف الأطراف يضاف إلى ذلك أن التعصب للإسلام –مع الجهل بأحكامه وشرائع مذموم .. وليس له نتيجة سوى تقلـــيم أظـــافر الإسلام والمسلمين . وإن جعل الإسلام رمزاً بلا مضمون بإلباسه الثياب القانونية الإفرنجية هو سوق له ليكون تحـــت ظل العلمانية المستترة أو الظاهرة

بل طالب هذا الفريق ببقاء الهند موحدة .. وأن يعمل المسلمون على فهم دينهم والتعرف به ونشره في الأوساط الهندية ، ولا يحرموا ما بقي للإسلام من سيادة في الأرض والناس ، وأن المسلمين –في التقسيم– لن ينالوا من الأرض القدر الذي يحق لهم

بل أنهم سيواجهون الصعوبات التي ستثار في وجه باكستان من كل الأعداء في الخارج .. ومن الهند في الداخل .. وذكروا ما يعتقد الهنود بأن أرض الهند أحد الآلهة ، ولا يجوز تقسيم الإله !!

وبقي أبو الأعلى على هذا الرأي إلى أن عمت الفوضى وجرى قتل العدد الكبير من المسلمين وضاعت كـــشمير وعدد كبير من الولايات والأنهر الغنية بالماء و لم تعد الإقامة ممكنة في الهند فانتقل إلى باكستان مع أواخر من انتقل

والفريق الثاني كان مع الرابطة الإسلاميّة بزعامة محمد علي جناح وهو من طائفة تمثل عدداً قليلاً مـــن المـــسلمين وكان حامل الراية الشاعر محمد إقبال –صاحب الخيال الواسع والتصوف المغرق– وكان لهذا الفريق أيضاً العديد من الحجج القوية والمبررات المقبولة

وقد اندفع العرب والمسلمون بتأييد كاسح لقيام باكستان ، وكان علينا أن نتمهل ونترك لإخواننا هناك تقـــدير مصلحتهم فإن أهل مكة أخبر بشعابها .. ولكن قدر الله وما شاء فعل وفي سنة 1947م قسمت الهنـــد و لم تحكـــم

باكستان بالإسلام مع الأسف –ولا بقي الإسلام والمسلمون بأمن في الهند بسبب العداوة الضارية التي استولت علـــى الجميع .. حفظ الله باكستان وبنجلاديش وحفظ إخواننا المسلمين في الهند

المودودي والقاديانية

إنّ الأمر الطبيعي أن يكون المودودي هدفاً للاستعمار وأعوانه ومنذ مطلع دعوته ، وظهور أثره في المجتمع الهندي ، وقد قامت عليه قيامة أتباع الاستعمار .. وعلى الأخص القاديانيون وكانت الهجمة الشرسة سنة 1953م عنـــدما قامت الاضطرابات في لاهور وامتدت لكل باكستان .. وقتل عدد من الطرفين .. واعتقلـــت الحكومـــة الأســـتاذ المودودي ، وحلت الجماعة الإسلاميّة ، وحكمت عليه بالإعدام ومصادرة أمواله وأموال الجماعة .

وقدم الأستاذ المودودي لقاضي التحقيق ما سمي يومها بـ (البيانات) وبعد ذلك أبدلت الحكومة حكم الإعدام إلى المؤبد ثم أفرج عن الأستاذ وأعيدت الجماعة .

ثم جمع إلى البيانات دراسة وافية عن القاديانية وخطرها الديني والاجتماعي والسياسي على الإسلام والمسلمين .. في كتابه القاديانية وترجم إلى عدد من اللغات .

وقد امتاز رد المودودي على هذه النحلة الضالة عن جميع الردود لشموله بيان خطرهم على أكثر من صعيد فكان ما كتب خير معرف بها .

ومن المعروف أن القاديانية تلبست بلباس الإسلام وزعمت فهم القرآن بالوحي المستمر وأخذت مـــن تـــأويلات بعض السابقين مستنداً لها .. مما كتب عن الولاية والإلهام في بعض الكتب !

فكان موقف المودودي والجماعة الإسلاميّة أصلب موقف واجهته القاديانية فجزاه الله الخير وأحسن مثوبته .

من إنتاجه

لقد كان المودودي صاحب نظرة إسلامية شاملة .. فلم يكن عنده في الإسلام لب وقشور بل دين كامل متميـــز وهذه مؤلفاته تشهد بذلك فبينما نراه يؤلف : في القرآن الكريم : (ترجمان القرآن) و(تفهيم القرآن) و(تفسير ســـورة النور) نراه يجعل كتابه (الحجاب) فصيم تفسيره لسورة النور لما بينهما من ترابط في الأفكار .. وقد خرج في كتابـــه (الحجاب) بنظرات جديدة هي محل نظر عند العلماء .. غير أنها دلت على ما بذل من جهد للوصول إلى ما رآه حقا .

وانظر كتبه (نظرية الإسلام السياسية) و(نظرية الإسلام الخلقية) و(مبادئ الإسلام) و(نظام الحياة في الإسلام) .

فإنك تجدها وكأنها كتاب واحد له فصول متعددة تأكد أمراً واحداً ألا وهو وضوح الفكرة عند المودودي منـــذ أيامه الأولى !!

ولن أطيل عليكم غير أنني أسرد لكم أسماء بعض مؤلفاته وهي عناوين تدل على موضوعاتها :

المصطلحات الأربعة في القرآن (الإله – الرب – العبادة – الدين) – الجهاد في سبيل الله – الحضارة الإســـلاميّة أسسها ومبادئها – مبادئ أساسية لفهم القرآن – واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم – نظرية الإسلام الـــسياسية – البيانات والمسألة القاديانية – واجب الشباب المسلم اليوم – القانون الإسلاميّ وطرق تنفيذه – موجز تاريخ تجديـــد الدين وإحيائه – نظرية الإسلام الخلقية – الإسلام والجاهلية – داء المسلمين ودواؤهم – العدالة الاجتماعية حقيقتـــها وسبل تحقيقها – حاجة الإنسانية لنظرية صالحة وجماعة راشدة – حركة تحديد النسل – حدود التشريع في الإسلام – المنهج الإسلاميّ الجديد في التربية والتعليم – صياغة دستور إسلامي – تفسير سورة النور – الحجـــاب – الأســـس الأخلاقية للحركة الإسلاميّة – نحن والحضارة الغربية – دور الطلبة المسلمين في بناء مستقبل العالم الإسلاميّ – قضية كشمير – مسألة ملكية الأرض – الربا – أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة ومعضلات الاقتصاد وحلـــها بالإسلام – شهادة الحق – الدين القيم – اللباس

وقد طبعت كتبه بعد أن ترجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة شرقية وغربية ، كما أن له كتباً كثيرة غير هذه بـــل إنّ بعضها ما زال مخطوطاً سبق له الحديث عنها ، أو أنه لم يستكملها بعد

أضف إلى ذلك عدداً من الجرائد والمجلات بعدد من اللغات التي أوقف بعضها ، وما زال البعض الآخـــر يتـــابع الصدور .